مقدمة

يعتقد الكثير منا أن الأمريكيين هم من نشاهدهم فى أفلام هولى وود. . . وذلك يشبه اعتقاد بعض العرب أن المصريين هم من يشاهدونهم فى الأفلام والڤيديو كليپات المصرية.

ولكن فى يوم ٢/ ٣/ ٢٠٠٢م، استضاف الدكتور عبد المنعم سعيد على شاشة التليفزيون المصرى ريتشارد هاس، المسئول الإستراتيچى فى الخارجية الأمريكية، وسأله كيف يبرر اللهجة الدينية الواضحة فى خطاب الرئيس بوش، والذى يذكرنا بالخطاب الدينى المتشدد للملالى الإيرانيين فى طهران؟ فضحك الضيف قبل أن يجيب: الخطاب الدينى يؤثر فى الشعب الأمريكى. . فهو أكثر شعوب الأرض تدينًا.

وإليك بعض الحقائق عن الشعب الأمريكى:

من مجلة دير شپيجل الألمانية، فى ١٧/ ٢/ ٢٠٠٣م:

* ٥٠٪ يذهبون للكنيسة أسبوعيًا.
* ٩٥٪ من الشعب يؤمن بوجود الله، والملحدون ٥٪.
* هناك بيت عبادة لكل ٨٦٥ شخصًا فى الولايات المتحدة.
* فى عام ٢٠٠٠م بلغ دخل الداعية الإيڤانجليكى بيلى جراهام ١٢٦ مليون دولار [أى أكثر من ٧٠٠ مليون جنيه].

من مجلة نيوزويك الأمريكية، فى ١٠/ ٣/ ٢٠٠٣م:

* هؤلاء المسيحيون المؤمنون بالكتاب المقدس هم أقوى مؤيدى بوش، وزيادة أعدادهم فى العام القادم هى أهم أولويات مستشار الرئيس السياسى، وبالطبع يرد هؤلاء المسيحيون المؤمنون الجميل، فهم أقوى مؤيدى حرب ـ أحادية إذا لزم الأمر ـ للتخلص من صدام.

* لقد كان برنامج جماعة دراسة الكتاب المقدس نقطة تحول فى مستقبل الرئيس من عدة أوجه.. أصبح يقرأ كتابًا سطرًا بسطر بانتباه وفى نشوة.. ذلك الكتاب هو الكتاب المقدس.

* كانت حملة الانتخابات الرئاسية ذات سمات تكساس ولكن على نطاق أوسع. ففى عام ١٩٩٩م، وبينما هو [بوش] يستعد للترشيح، جمع بوش رعاة الأبرشيات فى مقر حاكم تكساس لأخذ البيعة، وأخبرهم أنه «استُدعى» [من الله] لمنصب الرئاسة.

من مجلة نيوزويك الأمريكية، فى ١٥/ ١١/ ٢٠٠٤م (بعد الانتخابات الرئاسية مباشرة):

* وضع [بوش] أساس مستقبله السياسى على حزام الكتاب المقدس فى تكساس، وأكمل البناء يوم الانتخاب.

* حصل بوش على ٧٥٪ من أصوات الإيڤانجليكيين(*)، وكذلك على أصوات غالبية من يذهبون للكنيسة بانتظام.

* لقد كانت القيم الأخلاقية هى الاهتمام الأقصى للناخبين، و٧٨٪ من هؤلاء المهتمين بالقيم الأخلاقية انتخبوا بوش.

(*) الذين يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس، ومرجعيته العليا، والخلاص الأبدى على يد المسيح من خلال الإيمان بفدائه للبشر بموته على الصليب، وبوجوب التبشير بكلمة الله، وتنتظر أغلبيتهم القدوم الثانى للمسيح بعد معركة هرمجدون.

ومن كتاب الرئيس جورج بوش «مهمة للأداء»(*):

* لم أكن أستطيع أن أصبح حاكمًا ما لم أؤمن بخطة إلهية تنسخ كل الخطط البشرية.

* دفعنى الراعى مارك كريج خارج حياتى المريحة كحاكم تكساس، وفى اتجاه حملة قومية للرئاسة.

* قبل ذلك، التحقت ولورا بكل من الكنيسة الميثودية التى تتبعها، والكنيسة المشيخية، حيث كنت أعطى دروس الأحد بعد عودتى الأولى إلى ميدلاند. لقد أصبحت عضوًا فعالاً فى الكنيسة الميثودية المتحدة الأولى، وخدمت فى لجنة التمويل.

* وحين عدت إلى ميدلاند، بدأت قراءة الكتاب المقدس بانتظام. وأقنعنى دون إيفانز بالانضمام إليه هو وصديق آخر - دون چونز - لاجتماع الرجال لدراسة الكتاب المقدس (Men's Community Bible Study). وقد تكونت هذه المجموعة قبل ذلك بعام فى ربيع ١٩٨٤م فى بداية انحسار صناعة الطاقة. وكانت ميدلاند تتألم آنذاك، وكان الكثير من الناس يبحثون عن الراحة والسند والاتجاه الصحيح. وبدأ رجلان دراسة الكتاب المقدس كفريق دعم، ثم نما الأمر. وفى وقت بداية حضورى فى خريف ١٩٨٥م، كان يجتمع ١٢٠ رجلاً. وكنا نلتقى فى حلقات نقاش صغيرة مكونة من عشرة أو اثنى عشر رجلا، ثم ننضم إلى المجموعة الكبيرة فى اجتماعات موسعة. وكان دون چونز يمر بى كل أسبوع

(*) صدرت هذه المذكرات قبل الحملة الانتخابية للرئاسة عام ٢٠٠٠م، عن دار نشر ويليام مور أند كمپانى - نيويورك.

ليصطحبنى إلى الاجتماعات، وأتذكر أنى كنت أتطلع لذلك. وصار حبى لقراءة الكتاب المقدس أقوى وأقوى.

* وكنت أقرأ الكتاب المقدس بانتظام. وأعطانى دون إيفانز نسخة الكتاب المقدس للقراءة فى خلال عام، وهو مقسم إلى ٣٦٥ جزءًا، وكلّ منها يتضمن جزءًا من العهد الجديد وجزءًا من العهد القديم وجزءًا من سفر المزامير والأمثال. وكنت أقرأ هذا الكتاب المقدس مرة كل عامين.

كما تعلمت روعة الصلاة. فأصلى من أجل الإرشاد. ولا أصلى لأمور دنيوية، وإنما لأمور سماوية، أصلى لأكتسب الحكمة والصبر والفهم.

* كم يغير الإيمان الحياة. أنا أعرف ذلك جيدًا؛ لأن الإيمان قد غيّر حياتى.

ومن كتاب «أمة اليمين»:

* أمريكا أمة بروح كنيسة.

* تاريخ أمريكا هو سلسلة متتابعة من الحملات الصليبية.

* فى أمريكا ٢٠٠ قناة تليفزيونية و١٥٠٠ محطة راديو للبرامج المسيحية.

* فى أمريكا، يظل الرئيس الذى يحضر قداس الأحد بالكنيسة بانتظام، ويبدأ كل غداء أسبوعى مع نائبه بالصلاة، عرضة لاعتباره غير متدين بما يكفى.

* العديد من مستشارى بوش لهم روابط دينية. كوندوليزا رايس ابنة كاهن مشيخى. وأندرو كارد متزوج بكاهنة بالكنيسة المنهجية. وكارن هيوز شيخة فى كنيسة مشيخية وتلقب بـ«النبية». وكان دون إيفانز يحضر دروس الكتاب المقدس مع بوش حين كان فى ميدلاند. وحين وجد بوش وحاشيته أنفسهم يقضون أحد السعف فى سنة ٢٠٠٢م على متن طائرة الرئاسة (كانوا عائدين من رحلة إلى السلڤادور) اقترح بعض أعضاء الحكومة إقامة قداس دينى ارتجالى، فانحشر أربعون من المسئولين فى غرفة المؤتمرات بالطائرة، وأمت القداس رايس الموسيقية الموهوبة، وتلت هيوز فقرة الكتاب المقدس. وانتهى المشهد كله بترديد أنشودة «صلاة الشكر على النعم» وبأحضان وقُبل بين الجميع تعبيرًا عن الأخوة المسيحية.

* أبلغت البارونة شيرلى ويليامز (التى كانت آنذاك متزوجة بأستاذ العلوم السياسية البارز بجامعة هارڤارد، الراحل ريتشارد نويشتات) مجلس اللوردات بأن سياسة إدارة بوش «يسيرها ـ إلى حد ما ـ ما يمكننى أن أصفه بأنه أصولية مسيحية وأصولية يهودية لا تقل قوة عن الأصولية الإسلامية».

ومن كتاب العام (٢٠٠٥م) الصادر من بريتانيكا:

* اشترى الأمريكيون عام ٢٠٠٤م كتبًا دينية قيمتها ١,٩ بليون دولار [أى حوالى ١١ بليون جنيه مصرى، وذلك أضعاف مضاعفة لما قرأه العرب فى كل المجالات عام ٢٠٠٤م].

* * *

ووزعت سلسلة كتب القس تيم لاهاى «المتروكون خلفًا ـ Left Behind» التى تروى أحداث المجىء الثانى للمسيح، ومعركة هرمجدون، ٦٠ مليون نسخة، وصدرت فى صور أخرى، كألعاب، وشرائط ڤيديو.

***

حقيقة الأمر، أن الشعب الأمريكى متدين منذ هجرة البيوريتانز ـ أو الأطهار، ويسمون أيضا الحجاج ـ إلى أمريكا.. أرض الميعاد، واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار.. وكان ذلك فى عام ١٦٢٠م على السفينة ماى فلاور... وأغلبية الأمريكيين يعتبرون أن أمريكا هى حصن المسيحية فى العالم.. وعليهم رسالة إلهية يجب إبلاغها لبقية شعوب العالم.

فإذا عرفنا أن الشعب الأمريكى متدين، وأنه «بلد الله» كما يقول عنوان الكتيب، فماذا بعد؟

علينا أن نضيف أن العالم أصبح صغيرًا، وأن سياسة أمريكا الخارجية تؤثر فى معظم أنحاء العالم، وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط، وأن نسبة كبيرة من المسيحيين فى أمريكا تؤمن بأن قيام دولة إسرائيل هو تحقيق للنبوءات التوراتية.. وإثبات لصحة الكتاب المقدس، ولصحة معتقداتهم المسيحية.. وأن الله يبارك أمريكا إذا باركت إسرائيل، ويلعن أمريكا ـ كما لعن ويلعن العرب، فأصبحوا متفرقين ومتخلفين ـ إذا لعنت إسرائيل، كما لعنها ويلعنها العرب..

هذا الفكر متجذر فى الولايات المتحدة من قبل ظهور هيرتزل فى نهاية القرن التاسع عشر، وقبل ظهور الصهيونية اليهودية.. وهذا الفكر يتزايد

ويشتد عوده، خاصة من بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م، التى ظهرت كمعجزة إلهية للشعب المختار.

ولا تتوقف خطورة هذا الاتجاه الدينى / السياسى عند هذا الحد، على ما فى هذا الحد من خطورة، بل يزيد على ذلك إيمانه بعدم جدوى السعى وراء سلام عالمى، خصوصًا فى الشرق الأوسط، وعدم جدوى التعاون الفعال مع أعداء المسيح.. سواء كانوا العرب الكنعانيين، أو الأمم المتحدة.. مع اعتبار أن القلاقل والاضطرابات، وفترة الضيقة (*)، بالحروب وغيرها، هى المقدمة للمجىء الثانى للمسيح.

يفصل هذا الكتاب الخريطة المسيحية وتطوراتها فى الولايات المتحدة، ويعطى بعض الضوء لمن يقدِّر أهمية المسألة وخطورتها، ويرشده ماذا يستطيع أن يفعل.. خاصة أن الرأى العام فى الولايات المتحدة، وبالذات بين الإيڤانجليكيين، له تأثير على الأمن فى مصر، وأمن الشرق الأوسط.. فهل خاطبنا الرأى العام الأمريكى، وهل خاطبنا الكونجرس، ومراكز البحوث، والجامعات التى تقوم بتدريس تاريخ وحضارة وأديان الشرق الأوسط والعرب والمسلمين؟

هل بحثنا مع الأمريكيين من أصل مصرى وعربى ماذا علينا أن نفعل؟ الأمر الذى تفعله إسرائيل مع اللوبى اليهودى، وتفعله مع الصهيونية المسيحية، اللذين لهما الفضل فى بناء إسرائيل عسكريًا واقتصاديًا، وحمايتها إعلاميًا وسياسيًا.

(*) مصطلح إنجيلى يشير إلى الفترة الصعبة التى تسبق مجىء المسيح.

أظن الإجابة عن كل ذلك هى «لا» مدوية.

ويلخص ذلك الرئيس الأمريكى الأسبق كارتر فى مقالة حديثة له نُشرت فى لوس أنچلوس تايمز، فقال عن مشكلة فلسطين. «لا وجود للطرف الآخر».. يقصد بالطبع الفلسطينيين والعرب فى المجال الإعلامى والسياسى..

بل أكثر من هذا، كتب كثير من المعلقين والخبراء الأمريكيين فى الشرق الأوسط أن بعض كبار المسئولين الحكوميين فى «البلاد المعتدلة» يتكلمون فى أمريكا بلسان إسرائيل، حين يهاجمون التيارات الشعبية والإسلامية بها.. وبالطبع كان يفعل ذلك أيضًا الراحل عرفات.

وهل آن الأوان لأن نعترف بقصور سياستنا الخارجية فى تحقيق آمالنا فى الشرق الأوسط.. بدءًا بفلسطين، ثم السودان، ثم العراق، ثم لبنان؟

لقد فقدنا البوصلة تمامًا فى سياستنا الخارجية... فهل آن الأوان لأن نعيد بنائها على المعرفة والبحث أولاً، ثم العمل بخطط مدروسة يضعها مجموعة من الخبراء، للمدى القصير والمدى الطويل، لتحقيق مصالح وتطلعات الشعب المصرى؟

وهل آن الأوان لأن يتعرف مخططو سياستنا الخارجية على ما لدينا من نقاط قوة ظاهرة وكامنة ومستقبلية، فيؤمنوا بأن هناك الكثير الذى يمكننا أن نفعله لصالح مصر، والشرق الأوسط، بل والعالم كله؟

عادل المعلم